الخارطة الاجتماعية لمدينة الدوحة

خطت جامعة قطر ممثلة في مركز الوثائق والدراسات الانسانية خطوة عملاقة في تحقيق مفهوم تمتين علاقة الجامعة بالمجتمع. اذ قامت بدراسة قيمة ودفعت للقارىء المتخصص والعادي بكتاب لا غنى عنه لكل من يود الاحاطة او زيادة معلوماته عن التركيبة الاقتصادية والاجتماعية لمدينة الدوحة. هذا الجهد الكبير ثمرة من ثمرات مركز الوثائق والدراسات الانسانية والذي زود من قبل المكتبة القطرية والعربية بالعديد من الدراسات واوراق المؤتمرات التي اعدها، وفوق هذا فان هذا المركز افلح في اعداد كادر علمي رصين من الباحثات القطريات والباحثين القادرين حاليا ومستقبلا على اجراء بحوث اقتصادية واجتماعية وتاريخية ولغوية في كفاءة عالية. اشرف على اعداد هذا الكتاب «المجلد» الاستاذ الدكتور فاروق اسماعيل استاذ الانثربولوجيا بجامعة قطر سابقا وعميد كلية الآداب بجامعة دمنهور حاليا، وعاونه الاستاذ الدكتور علي ليلة استاذ علم الاجتماع، وكلا الاستاذين معروفان جيدا برصانة انتاجهما العلمي وتميزه، ولعل تميز هذه الدراسة يعود في المقام الأول بجانب جدية من اشتركوا فيها - الى تطبيق مفهوم Inter - discipline research اي اشتراك باحثين عديدين ينتمون لتخصصات مختلفة في بحث واحد.

فقد شاركت في اعداد الدراسة كل من الباحثات القطريات غلبية الكعبي وشيخة عبد الله الذياب من وحدة بحوث الجغرافيا والتخطيط العمراني، والباحثة كلثم علي غانم الغانم واسماء خليفة العطية وسبيكة محمد حمد الناصر من وحدة البحوث الاجتماعية والاقتصادية والباحثة عائشة محمد الظاهري ونورة ناصر آل ثاني والباحث عبد الرازق علي عثمان من وحدة بحوث التاريخ والوثائق والباحثة نور عبد الله المالكي من وحدة البحوث اللغوية وتولت السيدة مابسة عطية عبد الحميد سكرتارية البحث.

وقد اثرى تنوع التخصصات هذه الدراسة كثيرا، بالاضافة لهذا فقد شارك في هذه الدراسة باحثون قطريون فضلا عن آخرين عرب، فجاءت الدراسة في كثير من مناحيها تعبيرا عن صدق الباحث الوطني وادراكه للواقع المعاش، وتلك ميزة كبيرة في البحث العلمي، اذ ان الباحث الاجنبي او العربي مهما طالت فترة اقامته لا يستطيع تقديم صورة صادقة عن الواقع الذي وفد اليه، وبالمثل فان وجود باحثين من خارج المجتمع يمكن من رؤية ما يعتبره المواطن «امرا عاديا» كما يجنب البحث مغبة التحيز والتمركز حول الذات. يقع الكتاب في ٧٩٠ صفحة من القطع الكبير «٢٤×١٧,٥سم» ويضم ثلاثة عشر فصلا بجانب المقدمة والخاتمة وخمسة ملاحق.

قدم للكتاب الاستاذ الدكتور عثمان سيد احمد مدير المركز مثنيا على جهد المشرفين والباحثين، وموضحا ان الهيئة العليا للجامعة وعلى راسها الدكتور عبد الله الكبيسي مديرها بالانابة.. وكل من وكيل الجامعة وامينها ظلوا يتابعون البحث منذ ان كان فكرة «ولولا جهودهم لتعثرت الخطا». واشار مقدم الدراسة الى ان البحث قدم صورة للواقع العمراني والسكاني فضلا عن الموارد البشرية والنشاط البشري والخدمات الصحية والتعليمية ونسق الضبط الاجتماعي، لكنه لم يقف عند هذا الحد بل تجاوزه الى مناقشة العديد من القضايا الخاصة بالمجتمع المحلي ومشكلاته مع التركيز على الاسرة والشباب والوقوف عند نسق القيم سواء عميقة الاصل والاتجاه او تلك التي تتعرض للتغير». واوضح ايضا ان البحث قد يثير الكثير من التساؤلات، وليس في ذلك غرابة، فالخارطة الاجتماعية واقع متحرك متغير ومتجدد على الدوام.

اما مشرفا الدراسة فقد اشارا في مقدمتهما الى ان الدراسة حاولت تقديم صورة حية لمدينة الدوحة، يمكن الانطلاق منها تنمويا في كافة المجالات، ومن ناحية اخرى كان لدراستهما هدف طموح وهو تقديم مسح اجتماعي وانثربولوجي للباحثين يستهدف ابراز المشكلات والقضايا التي يمكن اتخاذها نقطة للبدء في ابحاثهم تفنيهم مستقبلا عن كل الابحاث الاستطلاعية او الاستكشافية، حيث سيجد الباحثون في هذه الدراسة ما يدفعهم لاجراء المزيد من الحوار من خلال البحث العلمي الجاد، خدمة لقضايا التنمية.

في الفصل الأول تمت معالجة المدخل النظري والمنهجي للدراسة ومسوغات اختيار مدينة الدوحة، والذي اقتضاه حتمية النمو العمراني والتغيرات العميقة والطارئة على كافة مناحي الحياة في مدينة الدوحة والتي تعتبر كما يقول الباحثون من نوع «المدينة الدولة» اذ تشتمل على حوالي ٨٠٪ من السكان، فضلا عن انها ملتقى كل التغيرات الحضارية والثقافية، كما كانت ولا زالت «انماء الاذاعة» الذي انصهرت فيه العديد من الجماعات العشائرية والقبلية فضلا عن جماعات ثقافية اخرى.

تتبع الكتاب في فصوله التالية منطقا متزنا فقد افرد الفصل الثاني لدراسة التطور التاريخي للمدينة فجاء بعنوان «من البدع القديمة الى الدوحة الجديدة» تتبعت فيه الباحثة سبيكة الخاطر والدكتور فاروق اسماعيل نمو المدينة وازدهارها من ٦٠٠٠ نسمة في بداية القرن ومائة وخمسين منزلا الى مدينة حديثة يسكنها اكثر من ٣٥٠٠٠٠ نسمة، كما تتبعا تغير الانشطة الاقتصادية والتطور في الخدمات وطرز العمارة والاسكان ووسائل الاتصال. واصل نفس المؤلفان معالجة التغير الذي حدث مفردين الفصل الثالث للمسكن القطري بين التقليدية والحداثة متتبعين المدينة منذ ان كانت مقسمة الى احياء صغيرة «فرجان» تتخللها طرقات ضيقة تنتشر فيها بيوت الطين الى شكل المدينة الحديثة. واجمل ما في هذا الفصل توضيح كيف ان المسكن القديم كان يتوافق مع النشاط الاجتماعي والاقتصادي وبقي باحتياجات الاسرة التي كانت تتكون من عدة اجيال: جيل الابوين والابناء المتزوجين ثم الاحفاد. الا ان تحولت الاسرة - بعد النفط - الى اسرة نووية. وتبع هذا تغير في المواقف والادوار، كما قلل شكل العمران الجديد من علاقات الجوار التي كانت متينة.

الفصل الرابع جاء من اعداد الباحثة شيخة عبد الله محمد الذياب ومشرف الدراسة، متناولا الخصائص الديموغرافية للسكان من حيث معدلات النمو والتركيبة العمرية والنوعية للسكان والمواليد والوفيات. وقدم احصاءات دقيقة وتحليلا رصينا لهذا الجانب. افرد الفصل الخامس لدراسة المناطق الانتقالية حيث قامت الباحثتان كلثم علي غانم الغانم وشيخة عبد الله محمد الذياب ومشرف الدراسة بدراسة حالة لحي الدوحة الجديد متناولين نشأته وتطوره منذ بداية الخمسينات حتى الآن، كما درسوا باقتضاب الاحياء الاخرى التي نشات في نفس الفترة كالنجمة وام غويلينة والتي تكتب بالتاء المربوطة وليس بالالف كما يشيع لدى البعض وكما جاء في الكتاب وحي عبد العزيز. تناول الفصل السادس الموارد البشرية والنشاط الاقتصادي حيث قامت الباحثة غلبية الكعبي بدراسة القوى العاملة وفقا للجنسية والنوع والنشاط البشري.

اشتركت الباحثة نورة ناصر آل ثاني وعائشة محمد الظاهري والباحث عبد الرازق علي عثمان في دراسة النظام التعليمي محور الفصل السابع متتبعين تطور التعليم حتى مستوى الجامعة وافردوا حيزا معتبرا لمناقشة قضايا حيوية مثل التاخر الدراسي والتسرب من المدارس والدروس الخصوصية والخلل في التوازن بين التخصصات العلمية.

الفصل الثامن تناول الرعاية والخدمات الصحية واسهم في تحريره نفس الباحثين. وهو فصل اشتمل على دراسة الطب الحديث والطب الوقائي، وما فات عليهم راسة الطب الشعبي كالحجامة والكي والعلاج بالاعشاب والنباتات وحالات اللقلقة والاستنزال. موضوع نسق الضبط الاجتماعي وهو من القضايا التي حولها دراسات قليلة رغم اهميتها الاجتماعية والاقتصادية عالجها نفس الباحثين في الفصل التاسع متناولين مؤسسات العدل وتطورها وشروط تعيين القضاة ونوعية الجريمة وحجم الانحراف، ومثلما فعلوا في الفصل السابق عالج الكتاب الاشكال الحديثة للمحاكم كما درسوا المجالس العرفية ودور الزعامة التقليدية في ضبط المجتمع. برز الجانب الاجتماعي في الدراسة في الفصل العاشر والحادي عشر وهما من تاليف د. علي ليلة والباحثتان نور علي عبد الله واسماء خليفة عبد الله العطية حيث تناولوا على التوالي اهتمامات المجتمع المحلي والتي عكست في الصحف خاصة قضايا التعليم والصحة العامة والاسرة والشباب والتي اضحت موضوعا للفصل الحادي عشر وتواصلت في الفصل الثاني عشر والثالث عشر الذي اشتركت فيه الباحثتان نور عبد الله المالكي واسماء خليفة عبد الله العطية بجانب الدكتور فاروق اسماعيل حيث تم تناول نسق القيم المتغيرة وشكل الاسرة وقيم الزواج وتعدده والطلاق كما درس دور المراة المتغير من حيث خروج المراة القطرية للتعليم والعمل ومشاركتها في الأعمال الخيرية ودورها في الاعلام وفي مجال الفن والثقافة. انتهت الدراسة في خاتمتها الى مجموعة من النتائج والتوصيات القيمة، نرى انها تساعد كثيرا في دراسة وحل الكثير من المشكلات والقضايا المحورية لمدينة الدوحة. الكتاب جدير بالقراءة والاقتناء.

استعرضه :
د. اسماعيل الفحيل